النظام المعرفي في الإسلام

لمرحلة الماجستير

قسم الشريعة

2024-2023

إعداد:

الدكتور قاسم غفور السيويلي

أستاذ العقيدة المساعد

كلية العلوم الإسلامية-جامعة صلاح الدين-أربيل

مفهوم النظام المعرفي

والمقصود بالنظام المعرفي:

مجموعة متآلفة منسجمة من المعتقدات والقيم والنظريات والقوانين والأدوات يشترك فيها أعضاء مجتمع علمي معين وهي طريقة في التفكير والممارسة، ومرشداً أو دليلاً يقود الباحثين في حقل معرفي معين.

- **أسس النظام المعرفي**

يتأسس النظام المعرفي في الإسلام وتتحدد طبيعته طبقاً للإجابة على الأسئلة النهائية أو الكلية وهي الأسئلة المتعلقة بالله تعالى، والغيب والإنسان والكون والحياة والتي احتوتها قضايا علم العقيدة ابتداء من سؤال الإله وطبيعته ووجوده ودوره، والاجابة عليه بالإيمان بالله واحداً أحداً خالقاً مدبراً متحكماً مالكاً.

ومن ثم تتأسس مسلمات الخالقية، والمخلوقية ويتحدد دور الإنسان في الكون وطبيعته، وعلاقته بالله سبحانه، ثم سؤال الغيب وطبيعته وعلاقة الإنسان به، فتأتي الاجابة بالإيمان بالملائكة كوسيلة لتواصل الإنسان مع عالم الغيب سواء من خلال الرقيب العتيد وحصر الأعمال والمحاسبة أو من خلال قضية الوحي، أو من خلال الموت.

ثم يأتي سؤال دور الإله في الكون وعلاقته به فتأتي الإجابة من خلال الإيمان بالكتب والرسل كوسائل لتنظيم الحياة الإنسانية طبقاً لمنهج إلهي وتأكيداً لمصادر معرفية تشكل معرفة الإنسان وتمثل جزءاً محورياً منها تأتي من عند الله سبحانه وتعالى، ومن ثم تجاوز الكون والإنسان والطبيعة كمصادر للمعرفة إلى مصدر أخر متمثل في الوحي الإلهي من خلال الكتب وعبر الرسل، ثم تتفرع بعد ذلك أسئلة تتعلق بطبيعة الحياة وعلاقة الإنسان بالكون ودوره فيه.

ومن هنا فإن الإجابة على هذه الأسئلة تمثل الأساس الذي يقوم عليه النظام المعرفي الإسلامي الذي تتحدد طبيعته وتتشكل خصائصه في الآتي:

1- إنه نظام يقوم على الإيمان بأن الحقيقة واحدة، فالحقيقة الواحدة في كل أمر وظاهرة تحتاج إلى طرق متعددة للوصول إلى شعاع من نورها، أو قبضة من ضيائها، فالقرآن الكريم مثلاً نص مفتوح لجميع البشر كريم في طبيعته وعطائه ومن دلائل كرمه أنه يعطي كل إنسان قدر حاجته وكفايته دون أن ينتقص من معناه شيء،

فالنص الواحد المطلق تتفاعل معه عقول نسبية مختلفة فتكون النتائج عادة مختلفة ومتنوعة لاتصل إلى اطلاقية النص القرآني، ومن ثم تظل الحقيقة في كل آية قرآنية كامنة فيها لا يمكن ادعاء التعبير عنها كلها مهما بلغت قدرة الانسان وطاقته.

2_ إنه نظام لا يعرف الكلمة الأخيرة لأن عناصر العملية المعرفية من عقل عارف وموضوع معروف ووسائل للمعرفة دائماً متغيرة متحولة فالظواهر الإنسانية والطبيعية تتحول وتتغير بصورة دائمة لأن من سنة الله في خلقه التغيير.

3- إنه نظام متمدد يقوم على أن كل شيء في الكون له "الواقع، وأن الإنسان يتعامل مع الواقع الذي يتم إدراكه ومعرفته دون أن ينفي أن هناك نفس أمر قد لا نعرفه الآن، ولكن يمكن أن نعرفه مستقبلاً، مثلاً القمر كان معروفاً أنه مصدر للضياء والجمال ثم أصبح معروفاً أنه صحراء وأحجار، فأصبح واقعه الأخير دون أن ينفي إمكانية أن يكون هناك شيء آخر، ولذلك فهذا النظام المعرفي قابل للتمدد والاتساع، بل مبني على هذه القابلية ويؤكد عليها مما يدفع العقل الإنساني للمزيد من البحث والسعي، لأن الله سبحانه وتعالى وضع قاعدة كونية هي "والسماء بنيناها بأيدٍ وإنا لموسعون"

4-إنه نظام مفتوح لجميع ابداعات العقول الانسانية لأنه يقوم على أن الله قد أودع في الكون حقائق وقوانين وسخرها للمعرفة أي يسيرها للذكر وللمعرفة.

فكما أن الكون مسخر في حركته فهو أيضاً مسخر في معرفته، ولذلك ما يصل إليه الإنسان يعتبر مصدراً للمعرفة ينبغي فحصه وتمحيصه ثم قبوله إذا ثبتت صدقيته.

بين العلم والمعرفة

ورد في القرآن الكريم ذكر المعرفة في عدة مواضع، مثل قوله تعالى: {وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ **فَتَعْرِفُونَهَا** وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ } [النمل: 93].

وقوله تعالى: {الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ **يَعْرِفُونَهُ** كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ } [الأنعام: 20]

والذي يلاحظ أن المعرفة في القرآن الكريم بكل صيغيها لم تأت منسوبة إلى الله تعالى، لأن المعرفة تكون بعد جهل مسبوق بخلاف العلم، حيث وصف الله تعالى نفسه في مواضع كثيرة، وبصيغ مختلفة مثل قوله تعالى: {هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ **عَلِيمٌ** (29) } [البقرة: 29].

وقوله تعالى: {وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ **عَالِمُ** الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ (73) } [الأنعام: 73]

لاشكّ عند علماء الكلام أن كلّ صفة من صفات الله تعالى تتعلق بالأشياء التي تتعلق بها من جنس تلك الصفة، مثل: أن صفة العلم يتعلق بالمعلومات وان السمع يتعلق بالمسموعات والبصر بالمبصرات وهكذا جميع صفاته- عزّ جلّ.

والحكمة من ذلك:

وهو تعالى عالم بالأشياء أزلاً على ماهي عليه، وأنّ الله تعالى يترتب عليه ما يترتب على الذات والصفة معاً، مثلاً: ذاتك ليست كافية في انكشاف الأشياء، بل تحتاج في ذلك إلى صفة العلم، التي تقوم بك، بخلاف ذاته

تعالى، فإنّه لا يحتاج في انكشاف الأشياء وظهورها عليه إلى صفة تقوم به، بل المفهومات بأسرها منكشفة عليه لأجل ذاته تعالى، وهو المقصود من قول العلماء (**لا هو ولا غيره**)، وعلى هذا تكون الذات والصفات متّحدة في الحقيقة، متغايرة بالاعتبار والمفهوم.

والعلم قد يضاف إلى الإنسان إلاّ أنّه مقيد بقيود، مثل قوله تعالى: {وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا} [الإسراء: 85].

{وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (6) يَعْلَمُونَ ظَاهِراً مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ} [الروم: 6، 7].

هناك فرق بين العلم والمعرفة ولكن الفرق بينهما ظني وهو أن العلم أكمل من المعرفة، ولهذا يسمى الحق سبحانه بالعالم دون العارف.

نظرية المعرفة ومدلولاتها في القرآن

أشار القرآن الكريم في مواضع متعددة إلى هذا البعد من أبعاد الإنسان بوصفه كائناً فيه قابلية المعرفة والإدراك والعلم والشعور والفهم، وهذا الموضوع متشعب الجوانب ومحتوٍ لأبحاث كثيرة ومختلفة، منها المنطقية والفلسفية والاجتماعية والعلمية والنفسية وذلك من خلال تتبع مجموعة الآيات القرآنية التي تتعرض إلى هذا الجانب في الإنسان تصريحاً أو تلميحاً.

وموضوع الإنسان والمعرفة في القرآن الكريم من الموضوعات الشائكة والمعقدة التي تحتاج إلى كثير من الجهد والعناية في استخراج واستخلاص النظرية المتكاملة عن هذا البعد، وهو مما لا يتأتى إلا لمن سبر أغوار هذا الكتاب العزيز وأستوعب مضامينه العالية، ويمكن إيجاز أهم ما تتعرض له الآيات الكريمة المتعددة والمتنوعة في مداليلها بما يلي:

١ ـ **إن الإنسان كائن مدرك:** تعبّر الكثير من الآيات الكريمة بصراحة عن كون الإنسان كائناً له القدرة على الإدراك والفهم والتحقق والوعي والشعور، وبتعابير مختلفة، كالإبصار والسمع والتعقل والشعور والشهود، فظاهرة الإدراك في الإنسان ثابتة وأساسية تميزه عن سائر الكائنات،

والقرآن يعبّر عمن لم يستفيدوا من هذه الموهبة الإلهية (العقل والإرادة) بأنهم كالأنعام بل هم أضل سبيلاً، فهؤلاء لم يغتنموا الفرصة المتاحة لهم والتي تمكنهم من السير في الطريق الذي يؤدي بهم إلى التقرب من الله سبحانه بحيث أنهم يتميزون عندها حتى على الملائكة في درجة قربهم.

وكيف أن ملاك تميّز آدم عليه السلام على الملائكة هو علمه بالأسماء، وقدرته على التعلم وكونه صالحاً للإدراك، فقد علّمه الله سبحانه فتعلّم، وبهذا استحق ذلك التعظيم من خلال الأمر بسجود الملائكة له، وبالتالي سقطت شبهة وتساؤل الملائكة عن سبب تميز آدم عنهم والأمر بالسجود له.

ومن خلال الآيات الكريمة في هذا الشأن نستنتج أن قدرة هذا المخلوق مطلقة وليست محدودة، وهو يمتلك قدرة على تعلم كل حقائق الوجود، إلا المرتبة التي تمتنع عن الإدراك للممكن، وهي المرتبة المتعلقة بالله سبحانه، فما دون هذه المرتبة يمكن للإنسان الوصول إليها،

فيمكنه أن يتطور ويتكامل ويدرك أكبر قدر ممكن من الحقائق الكبرى في الوجود والتي لا يتمكن حتى الملائكة من إدراكها، فالنبي (ﷺ) استطاع إدراك كل ما يمكن أن يدركه الممكن من حقائق عالم الغيب والشهادة بالنحو الذي تبينه الآيات الكريمة{ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى (8) فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى} [النجم: 8، 9]، وفي الروايات ورد أن جبرئيل قد بلغ إلى حد لم يتمكن من الصعود بعده، فصعد النبي (ﷺ) لوحده وهذه كناية وإشارة إلى أن الحد الوجودي والإمكاني لجبرئيل وهو أرقى الموجودات أقل من حد النبي في مقام القرب والتعرف على الحقيقة المطلقة، فاستمر النبي (صلى الله عليه وسلم) في دنوه وتكامله وتطوره في الإدراك والمعرفة وسائر الحيثيات التي كانت تستنبطها تلك المعرفة الخاصة وذلك العروج الرباني الخاص.

فالإنسان كائن مدرك زود بقابلية المعرفة وهي أرفع مما لدى سائر المخلوقات المدركة حتى الملائكة وهذه القابلية ديناميكية متحركة وليست

قسرية وهي قابلة للنمو والرشد فيما يرتبط بعالم الطبيعة أو عالم الغيب والمعاني والملكوت.

٢ ـ **تخصيصه بالعلم والمعرفة:** خصيصة المعرفة هي أشرف الخصائص التي توجد في مقياس القيمة الحقيقية، فالعلم والمعرفة هما أعلى وأشرف ما يمكن أن يتحلى به الإنسان وهي من خصائص الله سبحانه فهو العالم وهو الذي نفخ روح الإنسان مباشرة منه سبحانه، فأوجد فيه قابلية المعرفة، وخصيص شرف المعرفة يعترف بها حتى الماديون المنكرون لله سبحانه وتعالى.

3ـ **البرهان**: التأكيد على ضرورة الاستناد إلى العلم والمنطق والبرهان والدليل والعقل والفكر في كل تحرك وموقف يقفه ويعتقد به الإنسان، فبعد هذه الأهمية للعلم والمعرفة لا بد من استخدام العقل في فهم وإدراك ما يعتقد به الإنسان مستنداً إلى العلم والمنطق والعقل {وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ } [الأعراف: 179] فالآيات تحث على الاعتماد على المعرفة والتدبر لا الجهالة والخرافة والغفلة لاهية قلوبهم، فلا بد من انعكاس هذا الإدراك على عقيدة الإنسان ومواقفه التي يتخذها.

ويكتسب هذا الموضوع أهمية كبرى في الحياة العقائدية للإنسان باعتباره يشكل الأساس للجوانب الأخرى فكل سلوك فردي أو اجتماعي مبني على نظرية عقائدية معينة هي الأساس والخلفية الفكرية التي تبرر السلوك الخارجي للفرد أو المجتمع.

ومن جملة الآيات التي تعرضت إلى هذا الجانب ما يلي: {قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ } [البقرة: 111] { وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا} [الإسراء: 36].

{وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ} [الملك: 10] {لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ} [الأنفال: 42].

4- **إن للمعرفة قيمة:** أي أن للإدراك ما يطابقه في الواقع الخارجي، ويعرف هذا البحث في المنطق بـ (نظرية المعرفة) فللإدراك جانبان، جانب ذاتي وآخر موضوعي، فالجانب الذاتي له لم ينكره أحد حتى السوفسطائيون، فلا إشكال بأن الإنسان يدرك بأنه يدرك كما قال الفيلسوف الغربي (ديكارت): (أنا أفكر فإذن أنا موجود) ويصطلح على هذا العلم بالعلم الحضوري وهو علمنا وإدراكنا بما ندركه، والآيات القرآنية واضحة وصريحة في أن عملية الإدراك عملية موضوعية وليست مجرد حالة ذاتية فهي تؤكد بأن الإنسان ومن خلال موهبة العقل والمعرفة والقدرة على التعلم والإبصار والسمع وغيرها،

فإنه يدرك أموراً واقعية لها ما بإزائها بل يطرح القرآن ما هو أوسع من ذلك فهو يطرح واقعية وموضوعية وطريقة للإدراك ووجود مطابقات واقعية موضوعية خارج الذهن أوسع مما تطرحه الاتجاهات المنطقية، فالمنطق الإنساني ربما لا يثبت الواقعية لأكثر من الواقع المحدد بهذا الوجود، بينما القرآن الكريم يؤكد بأن الواقع الذي يمكن للإنسان أن يدركه ويشهده ويتصل به هو أوسع من الوجود المادي وهو ما يعبر عنه بعالم الغيب في هذه النشأة والنشأة الأخرى.

ومن الآيات التي تعرض هذا الجانب:

{مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى (17) لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى} [النجم: 17، 18].

))جنات عدن التي وعد الرحمن عباده بالغيب)) سورة مريم/٦١.
))الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة)) سورة البقرة /٣.

٥ ـ في تحديد مصدر **المعرفة أو منشأ الإدراكات:** يمكن ومن خلال الاستفادة من الآيات القرآنية (بطريق غير مباشر) تحديد بعض المصادر

التي يعتبرها القرآن الكريم صحيحة وسليمة في المعرفة إضافة إلى المصادر غير الصحيحة.

تحديد المصادر الصحيحة للمعرفة:

أ- **الفطرة البشرية السليمة:** الخالية وغير الملوثة بالأفكار الزائفة، فللإنسان مدركات فطرية يعترف بها القرآن الكريم كمصدر سليم من مصادر الإدراك، فأصل الدين هو أمر مطابق مع الفطرة الإنسانية في تشريعاته وتنظيماته إضافة إلى جانب الاعتقاد بالله سبحانه فهو أمر منسجم مع الفطرة.

أَنّ أَبَا هُرَيْرَةَ رضي الله عنه يقول: ((أتى رسول الله ﷺ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِهِ بِقَدَحَيْنِ مِنْ خمرٍ وَلَبَنٍ، فَنَظَرَ إِلَيْهِمَا، ثُمَّ أَخَذَ اللَّبَنَ، فَقَالَ لَهُ جِبْرِيلُ: هُدِيتَ الْفِطْرَةَ، لَوْ أَخَذْتَ الْخَمْرَ غَوَتْ أمتك))

فالإنسان مدرك للتوحيد بفطرته، فللفطرة مدركات أولوية وجدانية صحيحة فيما يختص بتوحيد الله سبحانه في أقل تقدير ولكن الإنسان لا يسلم بذلك بعد تلوثه بالذنوب وبالأفكار المنحرفة فهو يولد على الفطرة كما في الحديث الشريف وأبواه يهودانه أو ينصرانه، فالإنسان يولد على التوحيد ولكن من خلال المجتمع تتلوث فطرته السليمة من خلال الأجواء المحيطة به.

ومن الآيات التي تطرقت إلى هذه المسألة:

1-{قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ } [إبراهيم: 10] فكأن معرفة الله سبحانه مسألة فطرية وكل شيء يدل عليه،
2-{ وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ } [لقمان: 32].

وغيرها من الآيات الكريمة التي تتحدث عن الحالة التي تعتري الإنسان في الأوقات الحرجة فهو يتوجه لا شعورياً بفطرته إلى الله سبحانه كالحالات التي تصيب الإنسان عندما يركب السفينة وتحيط به الأمواج من كل جانب، وكذلك حالات **النزع** وفي سكرات الموت:{ وَجَاوَزْنَا بِبَنِي

إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ} [يونس: 90].

ب ـ **المنهج الاستقرائي للمعرفة:** وهو التعرف على الحقيقة من خلال الملاحظة والتجربة والمشاهدة، فهذا المنهج يعتبر في نظر القرآن الكريم سليماً صحيحاً كمصدر للمعرفة بل فيه حث على استخدام هذا المنهج للتعرف على الحقائق كالإيمان بالله وتوحيده وبعض صفاته إضافة لبعض أصول الدين وحتى الحقائق العلمية المادية، ومن الآيات التي تعرضت لهذا المنهج: (إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب).

فأي إنسان يقف أمام هذه الجزئيات المستقراة يدرك وجود النظم والإتقان والدقة المتناهية في كل جزء من أجزاء السماوات والأرض بحيث انه لو كان اختلال في ذرة أو جزيئة لأدى إلى التخلخل في هذا النظم، فلا يمكن أن يكون كل ذلك الإتقان من غير مدبر وهو ما يسمى بدليل النظم ويعتبر هذا الدليل من أفضل الأدلة على وجود الله سبحانه،

و الآيات جعلت نتيجة للذي يفتح عينيه على الكون والطبيعة ويستقرىء آيات الله فإنه سينتهي إلى الإيمان بالله، لذلك فإن الآيات تؤكد أن أكثر الناس خشية لله هم العلماء، ونحن نرى أن العلماء في المذاهب والعلوم المختلفة يختلقون عن أتباعهم في كونهم كلما ازدادوا علماً ازدادوا إيماناً بالله سبحانه، ويقال بأن داروين صاحب كتاب (أصل الأنواع) الذي كان قسيساً أرسل إليه القساوسة مستفهمين عن صحة شكه في الله سبحانه بعد نظريته في التطور، فأجاب بأنه على العكس من ذلك فإنه قد أزداد إيماناً لأنه قد أكتشف المزيد من الدقة في الخلق.

1-{وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ (21) وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ} [الذاريات: 21، 22].

2-{سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (53) } [فصلت: 53، 54].
ج ـ **المنهج العقلي** (القياس): ويستفاد من إشارات كثيرة في آيات متعددة، فالآية الكريمة:

1-{لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ (22)} [الأنبياء: 22]. واردة في إثبات الوحدانية ونفي الشريك، وفيها استدلال قياس، ففرض وجود إلهين يؤدي إلى فساد وبطلان وانتفاء الوجود وهو استدلال عقلي يقول به العلماء.

2- وكذلك الآية الكريمة{ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ (35) [الطور: 35]، فهي تثير العقل بالإشارة إلى أنه لا بد لكل ممكن من خالق، فهي تستبطن قياساً، فإما أن يكونوا قد خلقوا من غير شيء وهو غير معقول، أو يكونوا هم الخالقين وهو مستحيل، لأنه يلزم التناقض، عندها سيتعين الاحتمال بعد بطلان الاحتمالين الأولين فيكونون مخلوقين.

د ـ **الإدراك بالوحي** ويمثل مصدراً راقياً وغنياً ورفيعاً من حيث الأسلوب والمنهج وزمامه بيد الله سبحانه، والوحي ركيزة في كل الديانات وهو مصدرها، فكلها نازلة بالوحي.

هـ ـ **الإدراك بالإلهام** ويسميه الفلاسفة والعرفاء بالإشراق فالإنسان قد يصل إلى المعرفة بلا استدلال منطقي فيلقى في روعه فيدرك شيئاً ما إدراكاً صحيحاً، والإلهام مصدر للمعرفة يمكن التعويل عليه.

تحديد المصادر المنحرفة للمعرفة:

وفي نفس الوقت الذي يشير فيه القرآن الكريم إلى المصادر السليمة والصحيحة للمعرفة، فإنه يشخص المصادر غير السليمة التي يعتمدها بعض الناس ويتصورونها علماً وما هي إلا وهم وهي:

١ ـ **تقليد الآباء والأسلاف:** فهناك آيات كثيرة تشير إلى هذا المصدر من المصادر غير الصحيحة للمعرفة منها (إنّا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مهتدون) سورة الزخرف / ٢٢، وهذه الحالة يتأثر فيها الإنسان

بشكل غريزي وعاطفي تأثراً بالغاً ولا بد للإنسان من معاناة كبيرة للتخلص منها وهي لا تقتصر على الذين ذكرهم القرآن الكريم من الأمم السابقة

٢- إتباع الحكام المستكبرين والأقوياء: فنحن نجد آيات كثيرة تشجب المعتقدات التي يعتقد بها كثير من الناس على أساس التأثر بقوة الأقوياء فهم يتابعون أشخاصاً يجعلونهم أنداداً لله يحبونهم كحب الله كما في الآيات الكريمة ((ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حباً لله ولو يرى الذين ظلموا إذ يرون العذاب أن القوة لله جميعاً وأن الله شديد العذاب، إذ تبرأ الذين اتُّبعوا من الذين اتّبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب، وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرأوا منا كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات وما هم بخارجين من النار)) سورة البقرة/ ١٦٥ ـ ١٦٧.

والقرآن الكريم يؤكد على خطورة هذه الظاهرة لما لها من آثار اجتماعية وخيمة على المجتمع، واستعرض لنا القرآن قصة فرعون واستكباره في الأرض وتجبره حتى وصل به الأمر أن قال (لا أريكم إلا ما أرى) سورة غافر /٢٩

وهناك آيات عديدة تصور هذا المصدر غير السليم من مصادر المعرفة منها:

1-((وبرزوا لله جميعاً فقال الضعفاء للذين استكبروا إنا كنا لكم تبعاً فهل انتم مغنون عنا من عذاب الله من شيء)) سورة إبراهيم/٢١

2-((وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا)) سورة الأحزاب/٦٧.

٣- إتباع الأهواء والشهوات والآمال العريضة: وهي من آفات المعرفة التي يشجبها القرآن الكريم فهي تبرر له باتباعها وضع فلسفة ومسلك واتجاه فكري، فالتهالك على أمور الدنيا واتخاذها كل شيء في الحياة هو من أهم أسباب الضياع الذي يعيشه الإنسان إن هو انحرف عن جادة الحق، فالاتجاهات الفكرية المنحرفة الحديثة والقديمة كلها جاءت نتيجة للتهالك

على الدنيا وإتباع الشهوات بحيث يتخذ من تلك الأهواء آلهة ومسلكاً وفلسفة له في الحياة وهناك العديد من الآيات الكريمة التي تستعرض هذه الظاهرة الخطيرة منها:

1- ((أرأيت من أتخذ إلهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلاً)) سورة الفرقان/٤٣.
2-((ذرهم يأكلوا **ويتمتعوا** ويلههم الأمل فسوف يعلمون)) سورة الحجر/٣.
3-((ولو أتبع الحق أهواءهم لفسدت السماوات والأرض ومن فيهن)) سورة المؤمنون/٦٣ـ٧١.

.٤ـ **الوساوس الشيطانية للإنس والجن:** وتوضح هذا المصدر غير السليم من مصادر المعرفة الآيات من سورة الأنعام:

1- (ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلّمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قُبُلاً ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله ولكن أكثرهم يجهلون، وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً ولو شاء ربك ما فعلوه **فذرهم** وما يفترون، ولتصغى إليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة وليرضوه وليقترفوا ما هم مقترفون) سورة الأنعام/١١١ـ١١٤.

فهذه الآيات توضح أن لكل نبي عدواً من شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض بالهمس مثلاً، **كلاماً** مزيناً ومرتباً ليدحضوا به الحق فكل مصلح على مر التاريخ نرى تظافر جهود الشياطين بالإيحاء لبعضهم البعض.

٥ـ **السحر والشعوذة:** وهي من المصادر التي كانت على مر التاريخ موجدة لمعارف واتجاهات وأفكار منحرفة وضالة مما كان لها الأثر الكبير على الكثير من الناس، فالسحر لا يعتبره القرآن الكريم مصدراً من مصادر المعرفة الصحيحة لأنه غير معتمد على الفطرة والعقل والمنطق، وإنما على قضايا لا يفلح صاحبها لكونها ليست مبنية إلا على أساس الخداع والكيد:

1- (إنما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث أتى) سورة طه/٦٩،

ولقد استغل الفراعنة السحر لأجل إظهار عظمتهم وإلوهيتهم أمام الناس الضعفاء.

والقرآن يؤكد على ضرورة اتباع **الفطرة** والعقل والمنطق، ونبذ السحر باعتباره لا يمثل مصدراً سليماً **من** مصادر المعرفة، بل هو وهم وخداع.

-2((قالوا إنما سكّرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون)) سورة الحجر/٦٥.

-3 ((وقالوا ساحران تظاهرا **وقالوا** إنا بكل كافرون)) سورة القصص/٤٨

٦ـ **إتباع الظنون والخيالات:** (المعارف الوهمية غير الموضوعية) تبين من الآيات الكريمة حال فريق من الناس وهم المعاندين للأنبياء بأنهم متبعون للظن (الظن هنا هو الاصطلاحي، وهو ما يقابل اليقين) والخيال وكل ما نزل من عند الله من الحق، فهم يتأثرون في مدركاتهم بأمور تنشأ من مناشئ غير موضوعية (غير عقلية) بحيث أنه لو يحتكم الإنسان إلى العقل والمنطق الصحيح فلا يمكن أن يجد لها أساساً صحيحاً وإنما منشؤها ذاتي وواه، كالألفة التي تحصل للإنسان بالحياة المادية

ومن الآيات تشير الى هذه:

1-((إن يتبعون إلا الظن وما تهوي **الأنفس** ولقد جاءهم من ربهم الهدى)) سورة النجم/٢٣.

2-((إن الذين لا يؤمنون بالآخرة **ليسمّون** الملائكة تسمية الأنثى وما لهم به من علم إن يتبعون إلا الظن وإن الظن لا يغني من الحق شيئاً)) سورة النجم/٢٨.

3-((إن يتبعون إلا ظناً وإن هم إلا يخرصون)) سورة يونس/٦٦.

-4((وما لهم بذلك من علم إن هم إلا يظنون)) سورة الجاثية/٢٤.

5-((ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب إلا أماني وإن هم إلا يظنون)) سورة البقرة / ٧٨.

((ألله ﷻ)) المصدر الأول للمعرفة الإنسانية:

إذا كان الإنسان مخلوقاً لله تعالى والكون كله مخلوق لله، ووسائل اتصال هذا الإنسان بالكون من حوله كالعقل والحواس هي مخلوقة لله أيضاً، فإن الخالق الحق لمعارف الإنسان إنما هو الله سبحانه، والقرآن الكريم يؤكد هذه الحقيقة، كما قال: {اقْرَأْ بِاسْمِ **رَبِّكَ** الَّذِي خَلَقَ (1) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (2) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (3) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (4) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ} [العلق: 1 - 5].

إن القرآن الكريم يؤكد أن مصدر المعرفة الحق للإنسانية إنما هو الله تعالى، ولكن الإنسان قد **يتساءل** كيفية تلقي الإنسان لهذه المعرفة عن الله تعالى؟

والقرآن الكريم يجيب عن هذا التساؤل، فالله خلق الإنسان، وخلق له السمع والبصر والفؤاد ليتفاعل مع **عالم** الشهادة من حوله، ونتيجة لهذا التفاعل وبحدوده تحصل المعرفة الإنسانية لهذا الكون القريب، أمّا علم الغيب الذي لا تدركه حواس الإنسان، فإن الوحي الإلهي هو الذي يزود الإنسان بما ينفعه من تلك المعرف الغيبية.

وهذا نرى القرآن الكريم بقدر ما يدعو الإنسان إلى الإيمان بالوحي والخضوع له، وكذلك ما يدعوه إلى النظر في الكون وتسجيل المعارف الممكنة منه بقدر طاقة **الإنسان.**

ولا يجعل القرآن الكريم معرفة الكون بطريق مختلف عن الوحي، بل كلاهما **يتكاملان** فيكونان معرفة صحيحة وسليمة من حيث هي، ومن حيث آثارها ونتائجها.

والملاحظ من الآيات الكونية التي ذكرنا والتي اختارها القرآن الكريم ميداناً للبحث والنظر كلها يجيب عن **سؤال** تلقائي: لماذا يتهم القرآن كل **هذا الاهتمام بالمعارف الكونية؟**

إن القرآن الكريم ليس **كتاباً** في العلوم الكونية، فليس القرآن يهدف إلى عرض بعض القوانين التي تتحكم في الكون، إن له هدفاً دينياً جوهرياً إنه

أراد أن يربط بين معرفة الكون ومعرفة الوحي وبعبارة أدق أراد أن يقيم من المعارف الكونية برهاناً لإثبات العقائد الغيبية ولذلك فالعلاقة بين العلمين علم الغيب وعلم الشهادة علاقة تكامل وتعاضد، لا علاقة تمانع.

- **الوحي مصدر للمعرفة الإنسانية**

إذا كان المقصود بالمعارف الكونية تلك المعرفة التي تتحصل للإنسان نتيجة اتصاله بالكون المحيط به وتفاعله مع أجزائه، فلا ريب أن طاقة الإنسان في هذا محدودة، وحواسه قاصرة عن إدراك جميع ما في الكون من معارف وأسرار.

صحيح أن حواس الإنسان قد تضاعفت قدراتها بالمخترعات العلمية الحديثة كالمجهرات، والمركبات الفضائية والأقمار الصناعية، ووسائل الاتصال والمواصلات المعروفة، إلاّ أن هذه المخترعات العملاقة نفسها قد علمت الإنسان درساً بليغاً في التواضع أمام عظمة هذا الكون وسعته.

إنْ عجز الإنسان عن إدراك شيء ما، لا يعني عدم وجود ذلك الشيء، فالوجود أوسع من دائرة المعرفة ويتجاوزها، إذ ليس كل ما يعرفه الإنسان هو الموجود فحسب، ولكن ما لا يمكنه معرفته، فلا يسوغ له أن يجزم بعدم وجوده، بل أن يبحث عن طريق أخرى للوصول إليه، ومن هنا يبدأ التفكير الصحيح للربط بين المحسوس واللامحوسس، أو التوصل إلى المجهول من خلال المعلوم.

إن المعرفة الكونية علّمت الإنسان الزراعة والصناعة والطب والفلك وغيرها من العلوم، ووجد الإنسان من خلال هذه المعرفة أن الكون منظم تنظيماً دقيقاً، وأنه موزون بميزان علمي دقيق فلا مجال فيه للفوضى والعشوائية.

لكن هذا العلم الذي **بني** عليه الكون هل كان في فراغ؟

إن العلم صفة لابد لها من موصوف، فهذه الخارطة أو الهندسة العلمية الرائعة التي بنى عليه الكون لا بد لها من ذات عالمة نتجت عنها، فما هذه الذات التي نتج عنها التدبير الموزون لكل أجزاء الكون؟

إن هذه الأسئلة العقلية هي الرابط بين (المعرفة الكونية) و (عالم الغيب) أو الوحي.

فإذا ثبت عند الإنسان –لا محالة- وجود ذات عالم قد اتصف بالعلم بعد أن تعرف الإنسان على بعض **آثارها** في الكون، فعلى الإنسان بعد هذا أن يبحث عمّا يمكن أن يعرفه عن هذا الذات العالم.

ومن هنا تأتي قضية (الوحي) لتجيب الإنسان وتبلي طلبه المشروع، ولذا يقول السادة الأشاعرة: ((**وأمّا** من زعم أن الطريق إلى معرفة الحق الكتاب و السنة، ويحرم ما سواهما، فالرّد عليه أن حجيتهما لا تعرف إلّا بالنظر العقلي)).

إن النظر العقلي المنصف في قصة الأنبياء-عليهم الصلاة والسلام- على الأرض وما عرف عنهم من صفات الخير المشتركة كالصدق والأمانة والوفاء والجود والصبر ونحو ذلك وما جاءوا به من شرائع تبلي حاجة الإنسان أفراداً وجماعات، وتحقق فيهم الرحمة والتكافل والعدل وما أيدهم الله من المعجزات الباهرة، كل هذا يطمئن الإنسان بأن هذا الطريق هو الطريق الحق للاتصال بعالم الغيب.

ومن هنا ينتقل الإنسان من (المعرفة الكونية) التي اكتسبها من تفاعله مع هذا الكون إلى (معرفة الوحي) التي اكتسبها بالتسليم للأنبياء عليهم السلام الذيم تميزوا عن البشر **بتلقي** الوحي {قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ} [الكهف: 110].

وهذه الانتقالية ليست إنتقالة تغيير وتبديل، وإنما هي توسيع وتكميل، كما يقول الدكتور عبد الرحمن الزنيدي: ((فإنهما متكاملان في عملية المعرفة الإنسانية في كل مجالاتها حتى وإن كثف عمل كل منهما في مجال أكثر من الآخر)).

فإذا كانت المعرفة **الكونية** قد أجابت على أسئلة مهمة للإنسان مثل: كيف يعيش الإنسان على هذه الأرض؟ وكيف يستفيد من مواردها؟ وكيف يحافظ على كيانه؟

فإن المعرفة الثانية (الوحي) قد أجابت على أسئلة أهم وأشد خطورة مثل: من أوجد **الإنسان** والكون؟ وما الغاية من هذا الوجود؟ وماذا بعد هذه الحياة؟

وإذا كانت المعرفة الأولى قد أنتجت علم الفلك والطب والفيزياء والكمياء وغيرها من العلوم العقلية، فإن المعرفة الثانية قد أنتجت علم العقيدة والفقه وأصول الفقه وعلم الخلاق وغيرها من العلوم الشرعية.

- **العقل والوحي**

أن الإنسان يتميز على سائر الحيوانات بالعقل القادر على تحويل المدركات الحسية إلى علوم محفوظة وخبرات متراكمة، بل الوصول إلى ما وراء هذه المحسوسات.

من هنا جاء اهتمام القرآن الكريم أنشطة في النظر والتفكر والتدبر والاستنباط وغيرها، ومن هذه الآيات من القرآن الكريم:

قوله تعالى: {إِنَّ فِي **خَلْقِ** السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ **وَاخْتِلَافِ** اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي **تَجْرِي** فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ **فَأَحْيَا** بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ **وَتَصْرِيفِ** الرِّيَاحِ **وَالسَّحَابِ** الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ } [البقرة: 164]

2- قوله تعالى: { يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ } [النحل: 69].

إن هذه الدعوات المتكررة لربط العقل بهذا الكون الكبير تؤكد لنا قدرة العقل الإنساني على التفاعل مع الكون وبناء المعرفة الكونية، إلاّ أن هذا ليس كل الحقيقة، فالقرآن الكريم يريد من التفاعل هذا بين العقل والكون للوصول إلى جملة الحقائق الإيمانية الكبيرة كالإيمان بالله واليوم الآخر، يقول الإمام الآلوسي رحمه الله: ((فمن تأمل في تلك الآيات وجد كلاً منها مشتملاً على وجوه كثيرة من الدلالة وجوده تعالى ووحدانيته وسائر صفاته الكمالية)).

ولكن هذا العقل بما أوتي من فعالية من خلال طبيعته وتكوينه، ومن خلال تعامله مع عالم الشهادة لا يستطيع أن يقدم شيئاً تفصيلياً للمعرفة في عالم الغيب سوى التسليم بوجوده من خلال قوانين عالم الشهادة نفسه، من قوانين سببية وعلّية، ومن خلال دلالة آثار عالم الغيب في عالم الشهادة.

وإذا توصل العقل إلى الإيمان بوجود عالم غير عالم الشهادة واعترف بعجزه عن إدراك تفاصيل هذا العالم، فلا بد أن يبحث عن طريق آخر.

إن القرآن الكريم يقدم (الوحي) على أنه المصدر الحق الذي يستقي منه الإنسان معارفه الغيبية، الوحي المنزّل على صفوة من الناس وهم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام الذين قامت الدلائل الجلية على **صدقهم** فيما يبلغون، والعقل مطالب مع هذا النوع من المعارف بالتلقي والتسليم.

قال الدكتور عبدالحليم محمود في كتابه (الإسلام والعقل): ((وما دام الآمر كذلك فليس للعقل إلاّ التسليم والخشوع والخضوع، أو بتعبير أدق السجود، وهو ليس سجوداً تعسفياً أو تحكمياً، وإنما هو سجود مصدره الإيمان اليقيني بأن هذا من عند الله، وما دام من عند الله فإنه لا يأتيه الباطل من بين يديه وخلفه، إن الله في عظمته وجلاله لا يلقي برسالته ليبحثها الإنسان، ويبدي فيها رأيه نفياً أو إثباتاً، {فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا } [النساء: 65].)).

وهذا التسليم للوحي ليس في الجوانب الاعتقادية الخبرية فقط، وإنما أيضاً في تفاصيل الأحكام العملية (العبادات والمعاملات و الأخلاق التي شرعها الله للناس).

وهذا التسليم للوحي لا يعني إلغاء دور العقل، بل إن الوحي الذي أمرنا بالتسليم له هو الذي دعانا لإعمال العقل مع نصوص الوحي، مثل قوله تعالى:

1-{الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ (1) إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ } [يوسف: 1، 2].

2-{كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ} [ص: 29].

دور العقل مع النصوص يكون في النقطتين:

1-تدبر نصوص الوحي للوصول إلى معرفة يقينية، أن هذه النصوص من الله تعالى، مثل قوله تعالى:

أ-{أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا } [النساء: 82].

ب-{وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ} [المائدة: 83].

2-تدبر النصوص لفهمها واستنباط الأحكام منها ثم العمل بها.

وهذا التدبر هو الذي ينتج: (العلم) و(الفقه)، يقول القرآن الكريم:

1- قوله: { وَكَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ } [الأنعام: 105].

2- قوله: {وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ} [العنكبوت: 43].

3- قوله: { انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ} [الأنعام: 65].

4- قوله: {قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ } [الأنعام: 98].

الإيمان ودوره في المعرفة:

(أ) الإيمان: هو اسم لأفعال القلوب، والجوارح، والاقرار باللسان ويمثل هذا القول المعتزلة والخوارج والمحدثون، والفقهاء، ولكن لكل فريق من هؤلاء له طريقته الخاصة في بيان ما يقصد منه، على النحو الآتي:

1- اتفق الخوارج على أن الإيمان بالله تعالى يتناول المعرفة به، وبكل ما وضع عليه دليل عقلي، أو نقلي من الكتاب والسنة، كما يتناول طاعة الله، في جميع ما أمر به، من الأفعال وترك المنهيات، صغيراً أم كبيراً، وقالوا: مجموع هذه الأشياء هو الإيمان، وترك شيء منها هو الكفر.

مذهب الخوارج والمعتزلة : عندهم أن الإيمان قول وعمل واعتقاد، إلا أن معنى العمل عندهم كل الطاعات، أي كل الطاعات إيمان وكلها شرط في الإيمان ويكفر إذا تركها.

2-ذهب المعتزلة إلى أن الإيمان عبارة عن الاعتقاد والنطق والعمل، فاعتبروا العمل جزءا من الإيمان

ثم اختلفوا فيما بينهم في الأعمال التي ادخلوها في الإيمان على وجوه:-

الوجه **الأول**: إن الإيمان هو فعل الواجبات دون النوافل، وهو قول أبي علي الجبائي، وابنه هاشم.

الوجه **الثاني**: اتجه واصل بن العطاء، وأبوهذيل، والقاضي عبد الجبار، إلى أن الإيمان هو فعل الطاعات، سواء كانت واجبة أم مندوبة، من الأقوال، أو الأفعال، أو الاعتقادات .

الوجه **الثالث**:-قال إبراهيم النظام، إن الإيمان هو اجتناب كل ما جاء فيه من الوعيد.

(ب) الإيمان: عبارة عن الإقرار فقط، وهذا هو رأي الكرّامّية، وزعموا أنه قول الخلائق في الأزل، حين قال تعالى:{أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ} [الأعراف: 173]، وهو باق في كل من قاله مع سكوته، وخرسه إلى يوم القيامة، لا يبطل إلاّ بالردة.

ويبدو أن آرائهم مردودة، لورود آيات كثيرة في إبطال اتجاهاتهم، منها:

1-قوله تعالى:﴿{وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ } [البقرة: 8]﴾.

هو الذي لا يطابق ظاهره باطنه سواء كان في باطنه ما يضاد ما في ظاهره، أو كان باطنه خالياً، عما يشعر به ظاهره، فهو منافق.

2-قوله تعالى:[{مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ } [المائدة: 41].

وقال الضحاك: نزلت الآية في شأن المنافقين، كانت علانيتهم تصديقاً، وسرائرهم تكذيباً.

وهاتان الآيتان تنقض على الكرامية حينما زعموا أن الإيمان قول باللسان دون التصديق، فأخبر الله تعالى عن جملة المنافقين أنهم ليسوا بمؤمنين لمّا لم يأتوا بالتصديق، وهذا يدل على ان الإيمان تصديق بالقلب، بخلاف ما قالته الكرّاميّة .

(ج) ذهبت **المرجئة**، إلى أن الإيمان هو المعرفة بالله تعالى فقط، وأن الكفر هو الجهل به فقط ، وأن الأعمال غير داخلة في الإيمان، وأنه لا يدخل النار إلاّ الكفّار فقط.

ويظهر بطلان قولهم بقوله تعالى:{ { لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَو} [المائدة: 93] ()،وقوله تعالى:{{وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ} [المائدة: 10].

(د) قال جهم بن صفوان: الإيمان هو عمل القلب فقط.

(هـ) مذهب الجمهور من الأشاعرة والماتردية، رأوا أن الإيمان :هو التصديق القلبي للرسول(ﷺ) فيما علم تفصيلاً، وإجمالاً فيما علم إجمالاً .

وجعل هؤلاء النطق و الإقرار باللسان شرطاً لإجراء الأحكام الدنيوية عليه، وإلاّ فهو خارج عن ماهية الإيمان، فليس جزءاً منه، ومن صدق بقلبه، ولم يقرّ بلسانه يحسب مؤمناً عند الله تعالى، غير مؤمن في الأحكام الدنيوية، وأمّا الذي يمتنع عن النطق بالشهادتين بعد أن طلب منه، فلا

ينفعه التصديق القلبي في الآخرة ،وهو قول أبي المنصور الماتريدي، وجميع الأشاعرة.

وقال الإمام أبو حنيفة (رحمه الله)وجماعة من الأشاعرة: إن الإقرار بالشهادتين شطر الإيمان وجزؤه، فمن صدّق بقلبه ولم يقر بلسانه لا مرةً ولا أكثر مع القدرة على ذلك، لا يكون مؤمناً عندنا، ولا عند الله تعالى.

(و) وأما جمهور المتكلمين، والمحدثين، والفقهاء، فذهبوا إلى أن الإيمان هو: التصديق بالجنان، والإقرار باللسان، والعمل بالأركان، وهو قول جمهور أهل السنة، وأهل الحديث، والإمام مالك، والشافعي ،وأحمد، فالأعمال عندهم ركن للإيمان الكامل، لا أصل الإيمان.

وقد حاول بعض العلماء التوفيق بين الرأيين بقوله: ((الإيمان هو التصديق بالجنان والإقرار باللسان والعمل بالأركان ، إنهم أرادوا به الإيمان الكامل)) ويستدل على قوله بأدلة منها:

1-قول الرسولﷺ من رواية عبدالله بن عمرﷺ : « بُنِيَ الإِسْلاَمُ عَلَى خَمْسٍ شَهَادَةِ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ وَإِقَامِ الصَّلاَةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ وَحَجِّ الْبَيْتِ وَصَوْمِ رَمَضَانَ ».

2-قول الرسولﷺ من رواية عثمان بن عفان(ﷺ) :« مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ ».

ويبدو من استدلال بهذين الحدثين أن الرسول (ﷺ) بيّن في الحديث الأول أن المسلم الكامل هو من التزم بأركان الإسلام الخمسة، فمن المعلوم أن الإسلام ليس منحصراً في هذه الخمسة فقط، وهناك أمور أخرى تعدّ من الإسلام، ولم تذكر في الحديث، وامّا الحديث الثاني فيدل بظاهره على أن من اخلّ بركن منها لم يخرج من الدين، ومن أقرّ بكلمة التوحيد دخل الجنة، والله أعلم.

والذي يبدو بعد سرد آراء العلماء في هذه المسألة أن الإيمان المطلوب شرعاً لا يسمى إيماناً إلاّ باجتماع التصديق الجازم الذي لا يعتريه شك، ولا ريب، والإقرار كذلك باللسان لإجراء الأحكام الشرعية، ثم العمل

بالأركان لتحقيق الإيمان الكامل، غير متذبذب، في الدنيا والآخرة، لترتب الثواب، ونعيمه، ورضاء الله تعالى.

دور الحواس في المعرفة:

قلنا إن العقل قد يستقل بقدرته الذاتية على إدراك بعض المعارف الضرورية أو المنطقية، وهي المعرفة التي يشترك فيها جميع العقول والتي لا تحتاج إلى التجربة الحسية، فقد يتوصل العقل بالنظر المجرد او البداهة إلى بعض الحقائق، مثل: الكل أكبر من الجزء، والضدان لا يجتمعان، إلاّ أن هذه المعارف العقلية المحضة تبقى محدودة وصغيرة نسبياً أمام المعارف التي يحصل عليها العقل عن طريق تفاعل حواس الإنسان مع مصادر المعرفة الرئيسية: الكون والوحي.

الفهم الإسلامي لدور الحواس في المعرفة:

دور الحواس الذي رسمه القرآن يكون في النقطتين:

أولاً: دور الحواس في المعارف **الكونية:**

إن القرآن لا يوافق أبداً على اعتبار الحواس طريقاً وحيداً للمعرفة، كما أنه لا يوافق أبداً رفضها، وإنما يعتبر الحواس باباً للعقل في المعرفة، والحواس والعقل يعملان جميعاً في عملية المعرفة، أما احترام القرآن للحواس واعتبارها طريقاً للمعرفة، فلا أدل عليه من أنه ذكر السمع المتعلق بالإنسان وماله علاقة بهذه الحاسة ما يقارب من ثلاثمائة مرة،

كما ذكر البصر و متعلقاته في ما يقارب (264)مائتين وأربعة وستين موضعاً، ويمدح الله سبحانه في القرآن من استعمل نعمة الحواس في الوصول إلى المعرفة، ويذم من اكتفى بهذه الحواس لتؤدي مجرد الدور الحيواني في الحياة وأفسد دورها المعرفي واستخدمت الحواس لتدل على العلم القوي حيث يقول سبحانه في كل ذلك:

(فمن أبصر فلنفسه ومن عمي فعليها)، (قل أرأيتم إن أخذالله سمعكم وأبصاركم)، (لقالوا إنما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون)، (إنما

يستجيب الذين يسمعون).
ويقول ذامّاً لمن لا يجعل هذه الحواس طريقا لمعرفة الله: (ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون).

ثانياً: دور الحواس في معارف الوحي:

مثلما أمرنا القرآن الكريم بإعمال حواسنا في جوانب الكون أمرنا كذلك بإعمال حواسنا في نصوص الوحي،

مثل قوله تعالى:

1-{وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ} [التوبة: 6].

2-{إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ (91) وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنْذِرِينَ} [النمل: 91، 92].

وواضح من هذه الآيات حرص القرآن على أن يسمع الناس آياته حتى المشرك الخائف نحميه ونسمعه القرآن، ثم نبلغه مأمنه، ونترك له الخيار فيما بعد، وفطن أعداء القرآن الكريم لهذا وعلموا أن مجرد استماع القرآن هو طريق الهداية، ولذلك قالوا:

{وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ } [فصلت: 26].

دور العبادة والأخلاق في المعرفة

مفهوم العبادة في الإسلام
العبادة في الحقيقة اسمٌ جامعٌ لكلّ ما يحبّه الله تعالى ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة، وهي تتضمّن غاية الذلّ لله تعالى مع المحبة له، وهذا المدلول الشامل للعبادة في الإسلام هو مضمون دعوة الرسل عليهم السلام جميعاً، وهو ثابتٌ من ثوابت رسالاتهم عبر التاريخ، فما من

نبيٍّ إلا أمر قومه بالعبادة، قال الله تعالى ﴿ **وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ** ﴾.

وقد ربط القرآن الكريم بين هذا الجانب السلوكي عند الإنسان وبين الجانب المعرفي بروابط كثيرة، منها:

أولاً: العبادة والأخلاق هما غاية المعرفة:

1-{وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ (27) وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ (28)} [فاطر: 27، 28].

2- قوله تعالى: {وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ (83) وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ } [المائدة: 83، 84].

وواضح أن الآية الأولى ربطت هذا الجانب بالمعرفة الكونية.

والثانية ربطته بمعرفة الحق ((الوحي)).

ثانياً إن الجانب السلوكي **إذا اختل فإنه سيؤثر على المعرفة الإنسانية ومن جوانب كثيرة:**

1- قوله تعالى: {فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ (13) وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ} [النمل: 13-14].

2- قوله تعالى: {فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ (79) } [البقرة: 79، 80].

وإن القرآن الكريم هنا نبه العقلاء من البشر أن معارفهم الإنسانية كلها مهددة بالجحود والتحريف والتضليل نتيجة لفساد ذمم الناس وسوء أخلاقهم وذلك لطموحهم وحرصهم على الحياة الدنيا.